

الحقيقة المحمدية موضوع مثير للكثير من المناقش والمجدل، حسم فيه كبار المعارفين فكان التواصل والمداهان للحق، وخاض فيه غيرهم فأنجبر المجترار والتكرار الممل، وخير الكلام كلام الحق لأهل الحق من أجل الحق.

□

أما حقيقة المحمدية صلى الله عليه وسلم: فهي أول موجود أوجده الله تعالى من حضرة النبي، ولليس عنده من خلقه موجود قبلها، لكن هذه الحقيقة لات عرف بشيء. وقد تفسر بعض العلماء بالمبحث في هذه الحقيقة قال: إن هذه الحقيقة مفردة ليس معها شيء، فلنا تخلقوا، إما أن تكون جوهراً أو عرضاً، فإنها إن كانت جوهراً، افتقرت إلى المكنان الذي تحل فيه، فلنا تستقل بالموجود دونها، فإن وجدت مع مكنانها دفعة واحدة فلنا أولية لها لأنهما اثنان، وإن كانت عرضاً ليست بجوهراً، فالعرض لا تلام عليه، إذ لا وجود للعرض إلا قدر لجهة المعين ثم يزول، أي المأولية التي قيلت؟ والجواب عن هذا المبحث: أنها جوهرة حقيقة، له نسبتان: نورانية وظلمانية، وكونه مفتقراً إلى المجل لنا يصرح هذا المتحديدي، لأن هذا المتحديدي عتد به من تثبط عقله في مقام الماجسام، والمتحقيق أن الله تعالى قادر على أن يخلق هذه المخلوقات في غير محل تحل فيه، وكون العقل يقدر استحالته هذا الأمر، بعدم الماكن بوجود الماجسام بل محل، فإن تلك عادة أجراه الله تعالى تثبط بها العقل، ولم يطلق صراحه في فضاء الحقائق. ولو أطلق صراحه في فضاء الحقائق، لعلم أن الله قادر على خلق العالم في غير محل.

وحيث كان الأمر كذلك، فالله تعالى خلق الحقيقة المحمدية جوهراً غير مفتقراً إلى المجل، ولنا شك أن من كشف له عن الحقيقة الإلهية، علم يقيناً قطعي أن إيجاد العالم في غير محل ممكن إيماناً صحيحاً. أما الحقيقة المحمدية فهي هذه المرتبة، لات عرف ولنا تدرك، ولنا مطمئن لنا في ذلك في هذا الميادان، ثم استشرت بألباس من المانوار المألوية، واجتجبت بها عن الوجود، فهي في هذا الميادان تسمي روحاً بعبادتها بالمأل بآس، وهذا غاية إدراك النبيين والمرسلين والمقنطين، يصلون إلى هذا المجل ويقتفون، ثم استشرت بألباس من المانوار المألوية أخرى وبها سميت عقلنا، ثم استشرت بألباس من المانوار المألوية أخرى، فسُميت بسببها قلباً، ثم استشرت بألباس من المانوار المألوية أخرى، فسُميت بسببها نفساً، ومن بعد هذا ظهر جسده الشريف صلى الله عليه وسلم. فالأولياء مختلِفون في الإدراك لهذه المراتب، فطائفة غايية إدراكهم نفسهم صلى الله عليه وسلم، ولهم في ذلك علوم وأسرار وعارف، وطائفة فوقهم غايية إدراكهم قلبهم صلى الله عليه وسلم، ولهم بحسب ذلك علوم وأسرار وعارف أخرى، وطائفة فوقهم غايية إدراكهم عقلهم صلى الله عليه وسلم، ولهم بحسب ذلك علوم وأسرار وعارف أخرى، وطائفة وهم الماعلون بل غوا المغايية المقصوى في الإدراك، فأدركوا مقام روحه صلى الله عليه وسلم، وهو غايية ما يدرك، ولنا مطمئن لنا في ذلك الحقيقة في مالهيتها التي خلقت فيها.

وفي هذا يقول أبو يزيد: "غصبت لجة المكارف طلبل لوقوف على عين حقيقة النبي صلى الله عليه وسلم، فإذا بي نبي وبنيها ألق حجاب من نور، لو دنوت من الحجاب المأل لاحترقته به كما تحترق المشعة إذا ألقيت في النار".

وكذا قال المشيخ مولانا عبد السلام في صلاته: "وله تضاعلت المفهوم، فلم يدركه من سابق ولنا لاحق".

وفي هذا يقول أويس القرنبي لسيدنا علي، وسيدنا عمر رضي الله عنهما: لم تريا من رسول الله صلى الله عليه وسلم إلنا ظله، قال: ولنا ابن أبي قحافة؟ قال: ولنا ابن أبي قحافة، فلعله غاص لجة المكارف طلبل لوقوف على عين الحقيقة المحمدية فيقول له: هذا أمر عجز عنه أنباء الرسل والنبيين، فلنا مطمئن لغيرهم فيه، إن تهى.

ومن على قول المشيخ الشيخ الأكبر محي الدين بن عربي في صلاته: "المهم ألق حقي بن سببه"، م عن أنه هو كونه خليفة عن الله في جميع الممكلة المألوية فلنا شذوذ، متصفاً بجميع صفات الله وأسماؤه حتى كأنه عينه، فهذا هو نسبته من الحضرة الإلهية، وبعبارة قال رضي الله عنه: ي عن شيء خنا طلبل من الله أن يخلق بن سببه صلى الله عليه وسلم من الحضرة المألوية، وتحققه بحسب ذلك النسب، وهي العلوم المحمدية، والأولياء فيها كل على قدر نصيبه ومحتمده غايية ما يدرك من هنا اثنان وسبعون.

وقال أيضا رضي الله عنه: فمن وصل إلى سبته وسببين من العلوم المحمدية أو أزيد، فلنا يضره مجالسة المخلوق ولنا مكالمته، فلنا يس مع إلنا من الله، وأس توت خلوته وجلوته.

قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مَنْ أَدْرَكَ الْعِلْمَ الْمَأُولَ مِنَ الْعُلُومِ الْمَحْمُودِيَّةِ، وَقَسَمَهُ عَلَى اثْنَيْنِ وَسَبْعِينَ جُزْءًا، وَعَلِمَ جُزْءًا وَاحِدًا مِنْ اثْنَيْنِ وَسَبْعِينَ جُزْءًا، فَلَهُ أَنْ يَفْسِرَ كُلَّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ بِاثْنَيْنِ وَسَبْعِينَ وَجْهًا مِنَ التَّفْسِيرِ، وَأَحَاطَ بِجَمِيعِ الْعُلُومِ الْمُظَاهِرَةِ وَالْمُبَاطِنَةِ، هَذَا لِمَنْ عَلِمَ جُزْءًا وَاحِدًا مِنْ اثْنَيْنِ وَسَبْعِينَ جُزْءًا مِنَ الْعِلْمِ الْمَأُولِ، فَضَّلْنَا عَنِ الْعِلْمِ الْمَوَاحِدِ كُلِّهِ، فَضَّلْنَا عَنِ اثْنَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةِ إِلَى آخِرِ اثْنَيْنِ وَسَبْعِينَ عَلِمًا فَاعْرِفِ النَّسَبَةَ، إِنَّ تَهَى.

جواهر المعاني

الشيخ المتجاني